أبو العباس عبد الله السفاح

أمير المؤمنين أبو العباس عَبْد الله بن محمد بن علي بن عَبْد الله بن العباس بن عَبْد المُطَّلِب الهاشمي القرشي أول خلفاء بني العباس، تولى حكم الدولة الإسلامية وهو في السادسة والعشرين من عمرِه، وهو الخليفة التاسع عشر من الخلفاء المُسلمين، ويلتقي مع النبي محمد بن عبد الله في جده عبد المطلب، وأمه كانت ريطة الحارثية، وكان مولده بالحميمة من أرض الشراة من البلقاء (في الأردن حاليا) في الشام في أيام حكم الأمويين عام 104 هـ الموافق 721، ونشأ بها حتى أخذ مروان بن محمد أخاه إبراهيم الإمام، فانتقلوا إلى الكوفة التي بويع له فيها بالخلافة بعد مقتل أخيه في حياة مَرَوانَ، وذلك في يوم الجمعة الموافق 12 ربيع الأول 132 هـ الموافق 25 يناير 750، وبذلك تحولت الدعوة العباسية على يديه إلى دولة. واجه محاولات عديدة للخروج عليه، لكنه استطاع أن يقضي عليها جميعها مستعيناً بأبي مُسلم الخُراساني وفئة من أهلِه وعشيرته، وكانوا كثرة، وكان شديد البطش والتنكيل بخصومه، وكان معظم ولاته من أعمامِه وبني أعمامِه. اتخذ من الكوفة عاصمة لدولته في بادئ الأمر ثم تحول عنها إلى الأنبار، ولكن خلافته لم تدم طويلا، حيث توفي بالجدري في الأنبار يوم الأحد الموافق الحادي عشر، وقيل: الثالث عشر من ذي الحجة عام 136 هـ الموافق 754 بعد أربعة أعوام من توليه الخلافة، وقد تزوج من أم سلمة بنت يعقوب المخزومية، وأنجبت له ابنه محمداً وابنته ريطة، وقد جعل أخاه أبا جعفر المنصور ولي عهده، وقد خلفه بالفعل في حكم الدولة العباسية.

تَوَلّيه الخِلافَةِ

لما علم أهل الكوفة أن إبراهيم بن محمد قد قُتِل أراد أبو سلمة الخلال أن يجعل الخلافة في آل علي بن أبي طالب، فتواصل مع جعفر الصادق، وعبد الله بن الحسن المثنى، وعمر الأشرف بن علي زين العابدين، فلم يستجيبوا ويستمعوا له، وغلبه النقباء والأمراء أيضًا، وبعدما غلب الأمراء أبو سلمة الخلال أتوا بأبي العباس السفاح، وسلموا عليه بالخلافة، وكان عمره حينئذٍ ستة وعشرون عاماً، وكان أبو سلمة الخلال أول من سلم عليه بالخلافة، وذلك ليلة الجمعة لثلاث وعشرين ليلة خلت من ربيع الآخر عام 132 هـ، فلما جاء وقت صلاة الجمعة، خرج السفاح على الناس على برذون أبلق،(1) والجنود ملبسة معه إلى أن دخل دار الإمارة، ثم دخل إلى المسجد الجامع وصلى بالناس، ثم وقف على المِنْبَر وبايعه الناس خليفةً وهو على المنبر في أعلاه، وعمه داود بن علي واقف تحته بثلاث درج، وتكلم السفاح، وكان أول ما تكلم به بعد مُبايعته هو: ... وإني لأرجو أن لا يأتيكم الجور من حيث جاءكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله، يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا، ومنزل مودتنا، وأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا، وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم، فاستعدوا فأنا السفاح الهائج، والثائر المبير.

أعماله في المجال الإداري والسياسي

بعدما استقر الأمر لأبي العباس أخذ يولي الولاة، ويعزل القدامى، وكان مُعظم من وَلَّاهم من أقاربه، فجعل على الموصل أخاه يحيى، وولى عمه داود مكة والمدينة واليمن واليمامة بعد أن عزله عن الكوفة، وجعل على الكوفة عيسى بن موسى، وجعل على أرمينية وأذربيجان والجزيرة أخاه أبا جعفر المنصور، وجعل على الشام عمه عبد الله بن علي، وبعد ذلك بدأ السفاح في التخلص ممن قد يشكلون تهديدًا على وجود الدولة فبدأ بأبي سلمة الخلال الذي حاول جعل الخلافة في آل علي بن أبي طالب، وليس في بني العباس، فبعث السفاح أخاه المنصور رسولًا إلى أبي مسلم الخراساني؛ لكي يعرف رأيه في قتل الخلال، وليسأل أبا مسلم الخراساني أكان يساعد الخلال في هذا أم لا؟ فلما عرف أبو مسلم بهذا الأمر، قال للمنصور: «أفعلها أبو سلمة؟ أنا أكفيكموه»، فبعث له شخص يُدعى مرَّار بن أنس الضبي لكي يقتله، فلما وصل مرار إلى الكوفة وجد أبو سلمة الخلال جالسًا مع السفاح، فلما خرج من عنده قَتَلَه مرار، وقيل إن المنصور قد ذهب إلى أبي مُسلم الخراساني بعد مقتل الخلال وليس قبله، وبعد مقتل الخلال بعث السفاح أخاه المنصور إلى قتال ابن هبيرة بواسط، وبعد فترة عرض ابن هبيرة على المنصور الصلح، فأخبر السفاح بهذا يستأذنه، فأذن له، وفي ذلك الوقت كتب السفاح إلى أبي مسلم الخراساني يخبره بما حدث مع ابن هبيرة، فنهاه أبو مسلم عن الصلح، وكان قد وُقّعَ الصُلح، فكره السفاح ذلك، ولكن راسل أخاه المنصور يأمره بقتل ابن هبيرة، فأخذ يراجع السفاح

في ذلك مِرارًا إلى أن قال له السفاح: «اقتله لا مَحالة»، فقتله المنصور، وانقضى أمر ابن هبيرة. وكان المنصور يكره أبا مسلم الخُراساني لما هو فيه من الحرمة حينما قدم عليه؛ ليأخذ البيعة للسفاح وله من بعده، وقد أشار على السفاح بقتله فأمره السفاح أن يكتم ذلك الكلام، وقد حرضه مرة أخرى على قتل الخُراساني، فقال السفاح له: «قد علمت باءه معنا وخدمته لنا»، فقال المنصور: «إنما ذلك بدولتنا، والله لو أرسلت سنورًا لسمعوا لها وأطاعوا، وإنك إن لم تتعش به تغذى بك»، فقال له السفاح: «كيف السبيل إلى ذلك؟»، فقال المنصور: «إذا دخل عليك فحادثه ثم أجئ أنا من ورائه فأضربه بالسيف» قال: «كيف بمن معه؟» قال:«هم أذل وأقل»، فأذن السفاح للمنصور بقتل الخراساني، ولكن ندم بعدها على ذلك فأرسل غُلامًا لأخيه لكي يقول له: «إن ذاك الذي بينك وبينه ندمَ عليه، فلا تفعله»، فلما علم المنصور بذلك غَضبَ، ولكن المنصور قتل أبو مسلم عندما تولى الخلافة. وبالنسبة لعاصمة دولته فقد اتخذ من الكوفة عاصمةً له في بادئ الأمر، وتحول عنها إلى الأنبار، والتي دُفن بها.

<u>الثَوَرات على حكمه</u>

اتّسم عهدُ السفاحِ بكثرة الثوْرات التي قامتْ عليْه، فخرج الكثير من الطوائف والأهالي عليه، واجتمعت كل فئة من الثائرين على السفاح حول شخصٍ ما، فكان ما حدث في عام 132 هـ أن أَهْلِ قِنّسْرينِ ثاروا على الّسفاح -الذي كان حينئذ بالحيرة- واجتمعوا على أمير قنسرين مجزأة بن الكوثر، ولبسوا البياض، فذهب عبد الله بن علي إليهم، ولكن في نفس الوقت ثار أهل دمشق على السفاح بقيادة رجل يُسمى عثمان بن عبد الأعلا بن سُراقة، وقتلوا أمير دمشق، ولكن عبد الله بن علي استطاع القضاء على ثورتهم بعد حين، وفي نفس وقت ثورة أهل قنسرين تراسل أهل حِمص معهم، واجتمعوا على أبي محمد السفياني، وبايعوه بالخلافة، وقام معه ما يقارب من أربعين ألفًا، فالتقى عبد الله بن علي معه بمكان يُسمى مرج الأخرم، فقُتِلَ ألوف حتى هرب أبو مُحمد السفياني -وقد قُتِلَ في عهد أبي جعفر المنصور-، وبعد أن استقر الأمر للسفاح أُمّنَ أهلُ قنسرين، ولبسوا السواد مرة أُخرى.

وأيضًا في نفس العام خلع أهل الجزيرة السفاح بعد أن علموا بما فَعلَ أهلُ قنسرين، فأرسل إليهم أبا جعفر المنصور، فحاصرهم وقاتلهم حتى عدلوا عن رأيِهم، فولى السفاح أخاه المنصور على الجزيرة وأذربيجان وأرمينية، وفي عام 133 هـ خرج رجلٌ في بخارى يُدعى شريك بن شيخ المهري، وقال: «ما على هذا بايعنا آل مُحمد على سفْكِ الدِّماء، وقتلِ الأنفُسِ»، فأرسل إليه أبو مسلم الخراساني بقيادة زياد بن صالح الخزاعي فقتلَهُ.

وفي عام 134 هـ خرج على الّسفاح رجل يُدعى بسام بن إبراهيم، ولكن الّسفاح أرسل إليه شخصًا يُدعى خازم بن خزيمة فقتله. وفي عام 135 هـ خرج رجلٌ يُسمى زياد بن صالح، استطاع أبو مُسلم الخُراساني القضاء عليه. وأيضًا فقد ثار الخوارج على السفاح مرة واحدة في عهدِه، فقد خرج خوارج عُمان الإباضيين بزعامة شخص يدعى الجُلُنْدي، فأرسل له السفاح جيشًا كبيرًا بقيادة خازم بن خزيمة، وقد تمكن من القضاء عليهم.

<u>وَفاتُه</u>

قيل إن السفاح نَظَر يومًا في المرآة، وكان السفاح جميل الوجه، فقال: «اللهم لا أقول كما قال سليمان بن عبد الملك: أنا الخليفة الشاب، ولكن أقول: اللهم عمرني طويلًا في طاعتك، ممتعًا بالعافية»، فعندما أنهى كلامه سمع غلامين يتحادثان، فقال غلام لآخر: «الأجل بيني وبينك شهران وخمسة أيام»، فتشاءم السفاح من كلامه، وقال: «حسبي الله، لا قوة إلا بالله، عليه توكلت وبه أستعين»، فمات بعد شهرين وخمسة أيام، وقد رُوي عن عم السفاح عيسى بن علي أنه وجد في وجهه يوم عيد الأضحى في آخر النهار حبتان صغيرتان ثم كبرتا حتى امتلأ وجهه بالحبوب البيضاء الصغيرة، فعرفوا أنه جدري، وفي اليوم الثاني اشتد المرض به حتى أصبح لا يعرف أي أحد، وفي مساء هذا اليوم انتفخ وجهه حتى أمسى مثل الزق، وتوفي في اليوم الثالث، وقد كانت وفاته في يوم 11 ذو الحجة وقيل 13 ذو الحجة من العام 136 هـ عن عمر ناهز الثلاثة والثلاثين، وقيل اثنان وثلاثون، وقيل ثمانٍ وعشرون عامًا، وصلى عليه عمه عيسى بن علي، ودفنه في الأنبار.

<u>أبو جعفر المنصور</u>

<u>ولادته ونشأته</u>

ولد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس سنة (95 هـ/ 714 م)في قرية الحميمة التي تقع في معان جنوب الأردن، ونشأ بين كبار رجال بني هاشم الذين كانوا يسكنون الحميمة، فشب فصيحا عالما بالسير والأخبار، ملما بالشعر والنثر. وكان أبوه محمد بن علي هو الذي نظّم الدعوة العباسية، وخرج بها إلى حيز الوجود، واستعان في تحركه بالسرية والكتمان، والدقة في اختيار الرجال والأنصار والأماكن التي يتحرك فيها الدعاة، حيث اختار الحميمة والكوفة وخراسان، وأمه أم ولد اسمها سلامة البربرية.

صفاته

كان أبو جعفر المنصور فحل بنى العباس هيبةً وجبروتاً، وكان يلبس الخشن، ويرقع القميص ورعًا وزهدًا وتقوى، ولم يُرَ في بيته أبدًا لهو ولعب أو ما يشبه اللهو واللعب. ولم يقف ببابه الشعراء لعدم وصله لهم بالأعطيات كما كان يفعل غيره من الخلفاء. وهو من أعظم رجال بني العباس فقد كان في خلقه الجد والصرامة والبعد عن اللهو والترف. فقد اتصف بالشدة والبأس واليقظة والحزم والصلاح والاهتمام بمصالح الرعية وعرف بالثبات عند الشدائد ولاشك بأن هذه الصفة كانت من بين أبرز الصفات التي كفلت له النجاح في حكم الدولة العباسية. وقد عرف عن المنصور ميله إلى الاقتصاد في النفقات حتى امتلأت بالأموال خزائنه، ولم يكن المنصور يعطي الشعراء تلك العطايا البالغة حد السرف وإنما كانت أعطياته أرزاق العمال أيام المنصور 300 درهم ولم يزل الأمر على ذلك إلى أيام المأمون فكان أول من سن زيادة الأرزاق هو الفضل بن سهل.

القضاء على عمه عبد الله بن علي

كان عبد الله يطمع في الخلافة بعد أبي العباس، ولما بويع المنصور لم يوافق على ذلك، فخرج على المنصور في بلاد الشام، فأرسل له المنصور جيشا بقيادة أبي مسلم الخراساني الذي استطاع إلحاق الهزيمة به، وهرب عبد الله، وبقي متخفيا، حتى ظفر به المنصور وسجنه، فمات في السجن.

قضائه على أبي مسلم الخراساني

بدأ الجو يصفو لأبي جعفر بعد هزيمة عمه "عبد الله" في الشام إلا من الإزعاج الذي كان يسببه له أبو مسلم الخراساني؛ وبسبب مكانته القوية في نفوس أتباعه، واستخفافه بالخليفة المنصور، ورفضه المستمر للخضوع له؛ فأبو مسلم يشتد يومًا بعد يوم، وساعده يقوى، وكلمته تعلو، أما وقد شم منه رائحة خيانة فليكن هناك ما يوقفه عند حده، وهنا فكر المنصور جديّا في التخلص منه، وقد حصل له ما أراد، فأرسل إلى أبي مسلم حتى يخبره أن الخليفة ولاه على مصر والشام، وعليه أن يوجه إلى مصر من يختاره نيابة عنه، ويكون أقرب من الخليفة وأمام عينيه وبعيدًا عن خراسان؛ حيث شيعته وموطن رأسه، إلا أن أبا مسلم أظهر سوء نيته، وخرج على طاعة إمامه، ونقض البيعة، ولم يستجب لنصيحة أحد، فأغراه المنصور حتى قدم إليه في العراق، فقتله في سنة 137 هـ/ 756 م، ولأن مقتل رجل كأبي مسلم الخراساني قد يثير جدلا كبيرًا، فقد خطب المنصور مبينًا حقيقة الموقف، قال: "أيها الناس، لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تمشوا في ظلمة الباطل بعد سعيكم في ضياء الحق، إن أبا مسلم أحسن مبتدئًا وأساء معقبًا، فأخذ من الناس بنا أكثر مما أعطانا، ورجح قبيح باطنه على حسن ظاهره، وعلمنا من خبيث سريرته وفساد نيته ما لو علمه اللائم لنا فيه لعذرنا في قتله، وعنفنا في إمهالنا، فما زال ينقض بيعته، ويخفر ذمته حيث أحل لنا عقوبته، وأباح لنا في دمه، فحكمنا فيه حكمه لنا في غيره، ممن شق العصا، ولم يمنعنا الحق له من إمضاء الحق فيه".

ثورة سُنباذ

كان ممن غضب لمقتل أبي مسلم الخراساني، رجل مجوسي اسمه "سُنباذ"، فثار والتف حوله الكثيرون من أهل "خراسان"، فهجموا على ديار المسلمين في نيسابور و"قومس" و"الري"، فنهبوا الأموال وقتلوا الرجال وسبوا النساء، ثم تبجحوا، فقالوا: إنهم عامدون لهدم الكعبة، فأرسل إليهم المنصور جيشًا بقيادة جمهور بن مرار العجلي، فهزمهم واستردَّ الأموال والسبايا، ولا يكاد أبو جعفر يتخلص من "سنباذ" سنة 137 هـ/ 756 م، حتى واجه ثائرًا ينادى بخلع المنصور، إنه "جمهور بن مرار العجلي" قائد جيوش المنصور التي هزمت "سنباذ".

ثورات الخوارج

ثورات متتالية كانت تهدد الحياة وتحول دون الاستقرار والأمن في بداية حكم العباسيين. منها ثورات للخوارج الذين أصبحوا مصدر إزعاج للدولة العباسية. لقد خرج آنذاك "مُلَبّد بن حرملة الشيباني" في ألف من أتباعه بالجزيرة من العراق، وانضم إليه الكثيرون، فغلب بلادًا كثيرة، إلى أن تمكنت جيوش المنصور بقيادة خازم بن خزيمة من هزيمته في سنة 138 هـ/ 757 م. وتحرك الخوارج مرة ثانية في خلافة المنصور سنة 148 هـ بالموصل تحت قيادة "حسا بن مجالد الهمداني"، إلا أن خروجه هو الآخر قد باء بالفشل.

وواجه الخليفة المنصور العباسي ثورات منحرفة لطوائف أخرى، ففي سنة 141 هـ/ 759 م. واجه المنصور ثورة أخرى لطائفة من الخوارج يقال لها الراوندية ينتسبون إلى قرية "راوند" القريبة من أصفهان. إنهم يؤمنون بتناسخ الأرواح، ويزعمون أن روح آدم انتقلت إلى واحد يسمى "عثمان بن نهيك" وأن جبريل هو الهيثم بن معاوية -رجل من بينهم-، بل لقد خرجوا عن الإسلام زاعمين أن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو "أبو جعفر المنصور"، فراحوا يطوفون بقصره قائلين: هذا قصر ربنا. ولم يكن ينفع هؤلاء إلا القتال، فقاتلهم المنصور حتى قضى عليهم جميعًا بالكوفة.

ثورة محمد النفس الزكية[1]

من أخطر الثورات التي واجهت المنصور خروج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي، من سويقة المدينة (سويقة الثائرة) وكان من أشراف بني هاشم علمًا ومكانة، وكان يلقب بـ "النفس الزكية" فاجتمع العلويون والعباسيون معًا وبايعوه أواخر الدولة الأموية، وكان من المبايعين "المنصور" نفسه، فلما تولى الخلافة لم يكن له هم إلا طلب محمد هذا خشية مطالبته بطاعة هؤلاء الذين بايعوه من قبل، وهنا خرج "محمد" النفس الزكية بالمدينة سنة 145 هـ/763 م، وبويع له في كثير من الأمصار. وخرج أخوه "إبراهيم" بالبصرة، واجتمع معه كثير من الفقهاء، وغلب أتباعه على "فارس" و"واسط" و"الكوفة"، وشارك في هذه الثورة كثير من الأتباع من كل الطوائف.

بعث المنصور إلى "محمد النفس الزكية" يعرض عليه الأمن والأمان له ولأولاده وإخوته مع توفير ما يلزم له من المال، ويرد "محمد" بأن على المنصور أن يحكم بدين الله ولا يمكن شراء المؤمن بالمال. وكانت المواجهة العسكرية هي الحل بعد فشل المكاتبات، واستطاعت جيوش أبي جعفر أن تهزم "النفس الزكية" بالمدينة وتقتله، وتم القضاء على أتباع إبراهيم في قرية قريبة من الكوفة وقتلهم.

بناء بغداد

رغب الخليفة أبو جعفر المنصور في بناء عاصمة جديدة لدولته بعيدة عن المدن التي يكثر فيها الخروج على الخلافة كالكوفة والبصرة، وتتمتع باعتدال المناخ وحسن الموقع، فاختار "بغداد" على شاطئ دجلة، ووضع بيده أول حجر في بنائها سنة (145 هـ - 762 م) واستخدم عددا من كبار المهندسين للإشراف على بنائها، وجلب إليها أعدادا هائلة من البنائين والصناع، فعملوا بجد وهمة حتى فرغوا منها في عام (149 هـ == 766 م) وانتقل إليها الخليفة وحاشيته ومعه دواوين الدولة، وأصبحت منذ ذلك الحين عاصمة الدولة العباسية، وأطلق عليها مدينة السلام؛ تيمنا بدار السلام وهو اسم من أسماء الجنة، أو نسبة إلى نهر دجلة الذي يسمى نهر السلام. ولم يكتف المنصور بتأسيس المدينة على الضفة الغربية لدجلة، بل عمل على توسيعها سنة (151

---

[1] هو: محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ولما بويع لبني العباس، اختفى محمد وأخوه إبراهيم مدة خلافة أبي العباس السفاح، فلما صارت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور خاف محمد بن عبد الله بن الحسن وأخوه إبراهيم منه خوفا شديدا، وذلك لأنه توهم منهما أن يخرجا عليه، والذي خاف منه وقع فيه، ولما خافا منه هربا، فصارا إلى اليمن، ثم سارا إلى الهند، ثم تحولا إلى المدينة فاختفيا بها. ثم خرجا عليه من سويقة المدينة (سويقة الثائرة)، وجد المنصور في طلبهما، فخرج أخوه إبراهيم إلى البصرة، وقتل اما محمد النفس الزكية، فخرج بالمدينة فكان من أبي جعفر المنصور أن كتب إليه وراسله وحاوره محمد النفس الزكية ولم يتوصلا إلى حل سلمي فندب لحربه المنصور ابن عمه عيسى بن موسى بن محمد العباسي، فأقبل عيسى حتى أناخ على المدينة، وكتب إلى كبراء اهلها يستميليهم ويمنيهم، فتفرق عن النفس الزكيه الكثير وبقى معه القليل، وكان الإمامان أبو حنيفة النعمان ومالك بن أنس من انصاره.

هـ - 768 م) بإقامة مدينة أخرى على الجانب الشرقي سماها الرصافة، جعلها مقرا لابنه وولي عهده "المهدي" وشيد لها سورا وخندقا ومسجدا وقصرا، ثم لم تلبث أن عمرت الرصافة واتسعت وزاد إقبال الناس على سكناها.

وفاة المنصور

ذهب الخليفة المنصور للحج عام 158 هـ، 775 م، وكان ابنه محمد "المهدي" قد خرج ليشيعه في حجه، فأوصاه بإعطاء الجند والناس حقهم وأرزاقهم ومرتباتهم، وأن يحسن إلى الناس، ويحفظ الثغور، ويسدد دينًا كان عليه مقداره ثلاثمائة ألف درهم، كما أوصاه برعاية إخوته الصغار، وقال: إنني تركت خزانة بيت مال المسلمين عامرة، فيها ما يكفى عطاء الجند ونفقات الناس لمدة عشر سنوات. مرض المنصور في الطريق وتوفي في نفس السنة المذكورة .

أبو عبد الله محمد المهدي

هو أبو عبد الله محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

البيعة المهدي كان أبو العباس السفاح قد عقد البيعة لأبي جعفر المنصور ثم لـعيسى بن موسى فلما ولي المنصور كلم عيسى بن موسى في ذلك فلم يجبه إلى طلبه لكن المنصور أصر عليه حتى خلع نفسه وبويع للمهدي من بعد أبيه في سنة 147هـ وقد اختلف في السبب الذي من أجله خلع عيسى بن موسى نفسه.

ثورة المقنع والبرم : وفي سنة 159هـ، خرج المقنع الخراساني بخرسان وكان رجلًا أعورًا، قصيرًا، من أهل مرو ويسمى حكيمًا، وكان اتخد وجهًا من ذهب فجعله على وجهه لئلا يُرى، فسُمي المقنّع وادعى الألوهية، وتابعه خلق من ضلال الناس. فسار إليه معاذ بن مسلم وجماعة من القادة والعساكر وهزموه، و في سنة 160هـ، خرج يوسف بن إبراهيم المعروف بالبرم بخراسان هو ومن معه على المهدي، واجتمع معه بشر كثير فتوجه إليه يزيد بن مزيد الشيباني واقتتلا، وفي النهاية انتصر يزيد وبعث به وأصحابه إلى المهدي فقتلهم المهدي وصلبهم. وكان قد تغلب على بوشنج وعليها مصعيب بن زريق فهرب منها، وتغلب على مرو والروذ والطالقان والجوزان.

غزو الروم

في سنة 163هـ خرج المهدي لمحاربة الروم فعسكر بالبردان، وجمع العسكر من خراسان وغيرها، فاستخلف على بغداد ابنه الهادي واصطحب معه ابنه الرشيد. فعبر الفرات إلى حلب، وجمع من بتلك الناحية من الزنادقة، فقتلهم ومزق كتبهم، فسار عنها مشيّعًا لابنه الرشيد، فسار بمن معه فنزلوا حصن سمالوا، فحصروه ثمانية وثلاثين يومًا، حتى فتحه الله عليهم وفتحوا فتوحات كثيرة. وفي سنة 165هـ، سيّر المهدي ابنه الرشيد لغزو الروم في خمسة وتسعين ألفًا وتسعمائة وثلاثة وتسعين رجلًا، فلقيه عسكر نقيض، قومس القوامسة فبارزه يزيد بن مزيد؛ فغلبه يزيد وهزمت الروم. وسار إلى الدمستق (دومستيكوس)، وهو صاحب المسالح، فحمل لهم مائة ألف دينار. و توجّه الرشيد لمهاجمة عاصمة البيزنطيين؛ فبلغ خليج القسطنطينية، وصاحب الروم يومئذ الإمبراطورة أيرين أثينا؛ فجرى صلح بينها وبين الرشيد، على أن تقيم له الأدلاء والأسواق في الطريق، ومقدار الفدية سبعون ألف دينار كل سنة، فرجع عنها.

المهدي والزنادقة :

لقد رأى الخليفة المهدي ، الذي تولى الخلافة سنة(158هـ) بعد وفاة والده أبي جعفر المنصور خطر هؤلاء الدعاة على دولته ،التي تُعتبر في طور التأسيس ،ويسعى لتثبيت أركانه، فقرر إنشاء وزارة من أهم أولوياتها تتبع الزنادقة ،وقد سُميت ب(ديوان الزنادقة) وجعل لهذا الديوان مشرفاً عليه ،أطلق عليه اسم(صاحب الزنادق واشتهر هذا الديوان بتتبع كل من حاول النيل من الثوابت الدينية من الملاحدة والماجنين ، ويقال أنه اتسع نشاط هذا الديوان ، بتتبع كل من يخالف الخلفاء العباسيين.

وهذا الديوان ؛ بمثابة (محكمة تفتيش) على غرار (محاكم التفتيش) التي أنشأها النصارى عقب سقوط الأندلس لتتبع المسلمين والقضاء عليهم عن بكرة أبيهم في بلاد الأندلس. وتذكر المصادر بأن نصوص الزنادقة الشعرية توزعت متناثرة في الكتب

المتفرقة ،أما نصوصهم النثرية فقد أُتلفت مع أصحابها، ونالها ما نالهم من القتل والحرق والتشريد ؛ ككتب ابن الراوندي وغيره ،ولم يبق منها إلا شذرات متناثرة ، ويبدو أن الخليفة المهدي كان حريصاً على جناب الدين ، ويملك حساً إيمانياً يقِظاً ؛نظراً لسلامة معتقده ، كما تواتر ذلك في سيرت،.وقد استمر (ديوان الزنادقة) بتعقب من يلحق به وصف (الزندقة) إلى عهد الخليفة المأمون، وصفْوة القول أن الزنادقة في عهد المهدي لم يقم لهم قائمة وطاردتهم ناره بقوة ،حتى سلمت الدولة آنذاك من شرهم.

<u>بيعة الهادي والرشيد</u>

ذكر ابن كثير، أن المهدي قد ألح على عيسى بن موسى أن يخلع نفسه وهو مع كل ذلك يمتنع، وهو مقيم بالكوفة، فبعث إليه المهدي أحد القادة الكبار وهو: أبو هريرة محمد بن فروخ في ألف من أصحابه لإحضاره إليه، وأمر كل واحد منهم أن يحمل طبلًا، فإذا واجهوا الكوفة عند إضاءة الفجر ضرب كل واحد منهم على طبله.

ففعلوا ذلك فارتجت الكوفة، وخاف عيسى بن موسى، فلما انتهوا إليه دعوه إلى حضرة الخليفة فأظهر أنه يشتكي، فلم يقبلوا ذلك منه بل أخذوه معهم فدخلوا به على الخليفة في يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم من هذه السنة، فاجتمع عليه وجوه بني هاشم والقضاة والأعيان وسألوه في ذلك وهو يمتنع، ثم لم يزل الناس به بالرغبة والرهبة حتى أجاب يوم الجمعة لأربع مضين من المحرم بعد العصر.

وبويع لولدي المهدي: موسى، وهارون الرشيد، صباح يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم، وجلس المهدي في قبة عظيمة في إيوان الخلافة، ودخل الأمراء فبايعوا، ثم نهض فصعد المنبر وجلس ابنه موسى الهادي تحته، وقام عيسى بن موسى على أول درجة، وخطب المهدي فأعلم الناس بما وقع من خلع عيسى بن موسى نفسه وأنه قد حلل الناس من الأيمان التي له في أعناقهم، وجعل ذلك إلى موسى الهادي. فصدق عيسى بن موسى ذلك وبايع المهدي على ذلك، ثم نهض الناس فبايعوا الخليفة على حسب مراتبهم وأسنانهم.

<u>وفاته</u> : توفي الخليفة المهدي بماسبذان قرب مدينة مندلي العراقية سنة 169هـ. قال السيوطي: ساق المهدي خلف صيد، فاقتحم الصيد خربة، وتبعه الفرس فدق ظهره في بابها، فمات لوقته، وقيل مات مسمومًا. وقال ابن الأثير: كانت خلافته عشر سنين، وتوفي وهو ابن 43 سنة وصلى عليه ابنه الرشيد.

<u>أبو محمد موسى الهادي</u>

أبو محمد موسى الهادي بن أبو عبد الله محمد المهدي بن أبو جعفر عبد الله المنصور من خلفاء الدولة العباسية ببغداد وهو الخليفة الرابع. ولد الهادي بالري سنة 144 هـ\766م. ولي الخلافة بعد وفاة أبيه الخليفة أبو عبد الله محمد المهدي سنة 169 هـ/ 14 سبتمبر 786م وخلفه أخيه الخليفة هارون الرشيد، وعم كلا من: الخليفة أبو عبد الله محمد الأمين والخليفة أبو العباس عبد الله المأمون والخليفة أبو إسحاق محمد المعتصم بالله أولاد هارون الرشيد. اتبع وصية أبيه أن يقوم بقتل الزنادقة فتتبعهم وقتل منهم خلقًا كثيرًا.

كان الهادي أكبر إخوته، كان الهادي أديبًا فصيحًا، تعلوه الهيبة، وله سطوة وشهامة، وكان نقش خاتمه "الله ثقة موسى وبه يؤمن"، وقد اشتهر بكرمه وجزيل عطائه. قامت في عصر الهادي العديد من الثورات والصراعات الحربية الداخلية والخارجية، كان من بينها ثورة الحسين بن علي بن الحسن الذي أعلن نفسه خليفة في المدينة، ولقد تم قمع هذه الثورة والقضاء على الحسين ورجاله في موقعة فخ ، إلا أن ابن عم الحسين بن علي نجا من القتل وهرب إلى المغرب، وأسس هناك نواة الدولة الأدارسة.

يرى بعض المؤرخين أن وفاة الهادي كانت وفاة طبيعية، بينما يرى البعض أنه اغتيل من قبل الخيزران بنت عطاء أم هارون الرشيد التي أمرت جواريها أن يقتلنه فخنقنه، ويعتقد أن سبب الاغتيال هي رغبة الهادي في خلع أخيه هارون الرشيد من ولاية العهد، وجعلها لابنه جعفر. وتوفي الهادي ربيع أول سنة 170 هـ\787م.